



تقدير موقف

تحرك أمريكي لاحتواء الهبة الشعبية في الأراضي الفلسطينية المحتلة

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | أكتوبر 2015

تحرّك أميركي لاحتواء الهبة الشعبية في الأراضي الفلسطينية المحتلة

سلسلة: تقدير موقف

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | أكتوبر 2015

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2015

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. إضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدّها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخططٍ من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص. ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

www.dohainstitute.org

المحتويات

1	مقدمة
1	طبيعة التفاهمات
2	مقاربة أميركية محدودة
4	خاتمة

مقدمة

بدأ وزير الخارجية الأميركي جون كيري تحركاً دبلوماسياً تجاه الأطراف المعنية بموضوع القدس، وهي السلطة الفلسطينية والأردن وإسرائيل، في محاولة لاحتواء الأوضاع المتفجرة في الأرضي الفلسطينية المحتلة نتيجة الاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الأقصى ومحاولة تقسيم الحرم الشريف زمانياً ومكانياً بين المسلمين واليهود. وسعى كيري للضغط على إسرائيل لحفظ على "الوضع القائم" في الحرم الشريف، مع بعض التعديلات التي تضمن الرؤية الإسرائيلية لهذا الوضع، مقابل وقف الهيئة الشعبية الفلسطينية التي استشهد خلالها 61 فلسطينياً وجُرح المئات منذ بداية تشرين الأول/أكتوبر 2015 حتى الآن، وذلك مقابل تسعه قتلى إسرائيليين وعدٍ من الجرحى. ولوحظ أنَّ هدف كيري الوحيد هو "استعادة الهدوء".

طبيعة التفاهمات

بعد أن أجرى كيري سلسلة لقاءات مع كلِّ من الرئيس الفلسطيني محمود عباس ورئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو وملك الأردن عبد الله الثاني، أعلن التوصل إلى جملة "تفاهمات" لـ"استعادة الهدوء"، تتمثل في الآتي:

1. تحافظ إسرائيل على "الوضع الراهن" في الحرم القدس الشريف "قولاً وفعلاً". وبحسب كيري، فإنَّ "إسرائيل" ليس لديها أي نية لتقسيم الحرم الشريف وترفض أي محاولات للإيحاء بغير ذلك". كما أوضح كيري أنَّ "إسرائيل ستواصل العمل بسياساتها القائمة منذ وقت طولى بشأن العبادة ... في جبل الهيكل/الحرم الشريف بما في ذلك الحقيقة الأساسية وهي أنَّ المسلمين هم الذين يصلون في جبل الهيكل/الحرم الشريف بينما يقوم غير المسلمين بالزيارة"¹. ومن الملاحظ أنَّ كيري لم يذكر الحرم الشريف إلا قرنه بالتسمية الإسرائيلية "جبل الهيكل".

¹ "Remarks to the Press With Jordanian Foreign Minister Nasser Judeh," U.S. Department of State, October 24, 2015, at: <http://www.state.gov/secretary/remarks/2015/10/248703.htm>

2. وضع كاميرات أردنية - إسرائيلية مشتركة لمراقبة الأوضاع في الحرم القدس الشريف على مدار الساعة. وحسب كيري، فإنّ هذا الاقتراح، الذي طرحته العاهل الأردني، ووافق عليه نتنياهو ، سوف "يتتيح رؤية شاملة وشفافة، وقد يمثل تغييرًا في قواعد اللعبة لمنع أي شخص من انتهاك حرمة هذا الموقع المقدس".².
3. تحتم إسرائيل "دوراً خاصاً" للأردن في الحرم القدس الشريف كراعٍ له، حسب معايدة السلام بينهما عام 1994.³
4. التزام الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي وقف "التحريض والحد من التوتر واستعادة الهدوء".⁴

مقاربة أميركية محدودة

يبدو من طبيعة الأفكار التي طرحتها كيري والقضايا التي تناولها والتفاهمات التي توصل إليها أنّ إدارة الرئيس باراك أوباما لا تسعى للذهاب إلى أبعد من "استعادة الهدوء" في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأنه لا نية للوزير كيري لتجديد محاولاته السابقة الفاشلة لإطلاق عملية تفاوضية جديدة بين الطرفين. فإدارة أوباما تواصل ابتعادها عن قضايا المنطقة، وتفضل تجنب الخلاف مع إسرائيل، منذ أن اختلفت معها في مسألة تجميد الاستيطان، وانصاعت في النهاية للتعنت الإسرائيلي.

وفي هذا السياق، كان لافتاً تركيز كيري، في المؤتمر الصحفي الذي جمعه في عمان في 24 تشرين الأول / أكتوبر بنظيره الأردني، على مسألة "استعادة الهدوء"، رافضاً إعطاء أي تعهدات حقيقة أبعد من ذلك؛ إذ لم يتطرق إلى ضرورة التوصل إلى حل، ولا إقامة دولة فلسطينية تحدّياً.

وعلى الرغم من أنّ كيري أشار مرات عديدة إلى أنّ مسعي "استعادة الهدوء" إنما "هي خطوة أولية لخلق مساحة" لمعالجة القضايا الأوسع⁵، فإنه لم يحدد أي خطوات مستقبلية عملية لتحقيق ذلك. ويمكن أن يعزى الحرص

² Ibid.

³ Ibid.

⁴ Carol Morello, "Kerry cautiously optimistic after meeting Israeli prime minister," *The Washington Post*, October 22, 2015, at: <http://wapo.st/1LPB472>

⁵ Ibid.

الأميركي على عدم التورط في أي مساعٍ طويلة الأمد تجاه إحياء عملية التسوية، إلى مجموعة من الاعتبارات الأميركية، والإسرائيلية، والفلسطينية:

بالنسبة إلى الولايات المتحدة، فإن إدارة أوباما بقي من ولادتها نحو 14 شهراً فقط؛ فإذا كانت غير قادرة خلال السنوات السبع السابقة على الضغط على حكومة نتنياهو للمضي قدماً نحو تسوية سياسية مع الفلسطينيين، فليس هناك اليوم ما يشير إلى أنّ نتنياهو سينتراجع أمام ضغوط إدارة أميركية بات أمامها فترة محدودة لترحل، وفي وقتٍ يتناقض فيه المرشحون الرئاسيون من الحزبين الديمقراطي والجمهوري على خطب ودّ إسرائيل والتقارب منها. كما أنّ إدارة أوباما التي نجحت في إنجاز اتفاقٍ نووي مع إيران ليست معنية بـ"إرث رئاسي" آخر من قبل التوصل إلى تسوية ما بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وبخاصة أنها بذلت جهداً سابقاً في هذا الشأن، وفشلـت نتيجة لافتقارها الإرادة والتصميم على إجبار إسرائيل على التزام مقتضيات استئناف عملية السلام، وعلى رأسها تجميد الاستيطان.

لقد ظهرت "متلازمة" الضعف والارتكاك الأميركي مرّة أخرى تجاه كل ما هو مرتبط بإسرائيل عندما عجزت عن اتخاذ موقفٍ واضحٍ ومنسجمٍ تجاه الأحداث الأخيرة في القدس والأراضي الفلسطينية المحتلة. فبعد أن فسرَ كيري مؤخراً "تصاعد العنف" بعدم تحقق حل الدولتين وتصاعد بناء المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية في السنوات الماضية بشكل قاد إلى حالة "الإحباط"⁶، اضطر البيت الأبيض، بعد انتقادات من إسرائيل وحلفائها في واشنطن، إلى إصدار توضيح بأنّ كيري لا يعتقد بأنّ سياسة إسرائيل الاستيطانية تمثل مبرراً للعنف الحالي، وأنه شجب دوماً "العمليات الإرهابية" الفلسطينية من دون تحفظ⁷. كما اضطرت الإدارة الأميركيـة إلى التراجع أيضاً عن تصريحات الناطق الرسمي باسم الخارجية، جون كيري، الذي أرجع انفجار الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى عدم مراعاة إسرائيل "الوضع القائم" في الحرم القدسي الشريف ومحاولـة تغييره.⁸

⁶ "Conversation With Harvard's John F. Kennedy School of Government Director of the Belfer Center for Science and International Affairs Professor Graham Allison," U.S. Department of State, October 13, 2015, at: <http://www.state.gov/secretary/remarks/2015/10/248187.htm>

⁷ "Press Briefing by Press Secretary Josh Earnest," The White House, Office of the Press Secretary, October 14, 2015, at: <http://1.usa.gov/1H4f3ff>

⁸ "Daily Press Briefing by Spokesperson John Kirby," U.S. Department of State, October 14, 2015, at: <http://www.state.gov/r/pa/prs/dpb/2015/10/248215.htm>

أما إسرائيلياً، فقد أثبتت التجارب التفاوضية التاريخية مع نتنياهو، منذ منتصف التسعينيات من القرن الماضي، أنه غير معنٍّ بأي تسوية مع الفلسطينيين. كما أنّ توتر العلاقة والنفور الشخصي المتبادل بينه وبين أوباما، وتركيبة الحكومة الإسرائيلية اليوم التي تعد من أكثر الحكومات يمينية في تاريخ إسرائيل، يقال من إمكانية حدوث أي اخترق سياسي. وما يجدر ذكره، أنّ حكومة نتنياهو تملك أغلبية برلمانية بمقعدٍ واحدٍ فقط في الكنيست، وهو ما يجعلها رهينةً لأحزابٍ يمينية ودينية متشددة لن تقبل بوقف الاستيطان ولا بقيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على حدود عام 1967 وعاصمتها "القدس الشرقية".

أما بالنسبة إلى الفلسطينيين، فإنّ حياثات المشهد لا تقلّ تعقيداً؛ فمن جهة، يستمر الانقسام الفلسطيني، ويتمتع الرئيس الفلسطيني عن عقد اجتماع لقيادة الفصائل التي أُفرّت كقيادة لمنظمة التحرير بعد اتفاقيات المصالحة الأخيرة، وهناك صراع بين الأجنحة داخل حركة فتح ومؤسسات السلطة والمنظمة، وهناك انقسام واقع بين الضفة الغربية وقطاع غزة؛ وهو ما يعني عملياً عدم وجود من يملك اليوم القدرة والشرعية اللازمتين لبدء عملية تفاوضية مع إسرائيل. ومن جهة أخرى، بدا واضحاً من عمليات المقاومة الفردية الأخيرة في القدس وغيرها من مدن الضفة الغربية المحتلة اتساع حجم الهوة بين الشارع الفلسطيني والقوى الحزبية والسياسية الفلسطينية؛ لأنّ الشارع الفلسطيني أخذ يرسم خيارات جديدة بعيداً عن رهانات التسوية وعن حسابات الفصائل المختلفة وخلافاتها ومصالحاتها. إنّ هذه الأسباب مجتمعة لا تشجع على إطلاق تحرك جديد يمكن أن يفضي إلى نتيجة على صعيد "العملية السلمية" بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

خاتمة

يمكن القول إنه في حال استقر الأمر على التفاهمات التي سبق ذكرها، فإنّ ذلك لن يساهم إلا في تعزيز السيطرة الإسرائيلية على المسجد الأقصى والحرم القدسي الشريف. فنتنياهو يريد فرض قواطعه للوصول إلى الحرم الشريف وليس احترام البروتوكولات المعمول بها منذ عام 1967، لأنّ نعيير "احترام الوضع القائم" الذي

تمت الإشارة إليه في التفاهمات الأخيرة قد يجري تأويله إسرائيلياً على أنه الوضع القائم الذي جرى فرضه مؤخراً على الفلسطينيين.⁹

ويتخوّف الفلسطينيون أيضًا من أن تستخدم إسرائيل الكاميرات لمراقبة المصلين واعتقال الناشطين منهم¹⁰، وهو الأمر الذي أشار إليه نتنياهو ، عملياً، بقوله: إنّ الكاميرات ستستخدم "أولاً لدحض الادعاءات بأنّ إسرائيل تخرق الوضع الراهن، وثانياً لإظهار من أين تأتي الاستفزازات بالفعل، ومنعها مسبقاً".¹¹ وينطلق نتنياهو من قبوله فكرة الكاميرات من اعتبار أي دفاع فلسطيني عن الأقصى سيكون استفزازاً يجب رصده.

إنّ التحرك الأميركي لم يأت من دون أفقٍ سياسي فحسب، بل إنّ ميزان القوى القائم حالياً في القدس قد يحول نتائج زيارة كيري لمصلحة تثبيت الواقع الجديد الذي فرضته إسرائيل. ومن هنا، جاء التوافق الأميركي - الإسرائيلي على رفض المقترن الفرنسي لوضع مراقبين دوليين في الحرم القدسي الشريف للتأكد من احترام إسرائيل "للوضع القائم" فيه.

وفي المحصلة، فإنّ المراهنة على أي دورٍ الأميركي موضوعي تجاه القضية الفلسطينية، هو أمر غير ممكنٍ عملياً وغير متاحٍ واقعياً، ليس لأنّ إدارة أوباما تودّع قريباً ولايتها الدستورية فحسب، وإنما أيضاً لأنّ الولايات المتحدة أثبتت على مدى الخمسين عاماً الماضية أنها منحازة لإسرائيل، حتى إن اختفت الأخيرة مع بعض الإدارات الأمريكية حول درجة الانحياز المطلوب.

⁹ Matthew Rosenberg and Alison Smale, "Kerry, Meeting With Netanyahu, Sounds a Cautious Note of Optimism," *The New York Times*, October 22, 2015, at: <http://nyti.ms/1MOkwZZ>

¹⁰ "حذر فلسطيني من إعلان مراقبة الأقصى"، الجزيرة نت، 25/10/2015، انظر: <http://bit.ly/1H4eT7S>

¹¹ المرجع نفسه.